

فيطشوا به ، وهو هنا وحده لا تربطه بالقوم آصرة رحم ولا وشيجة قربي فيأمن كيدهم أو ينجو من مكرهم .. وفي مجلس النبي الكريم جلس خباب بسمع ، وإن حلاوة الحديث لتبند وسواس نفسه ، وإن الإشراق الإلهي ليتدفق في قلبه فيجلى صدأه ، ثم ... ثم اطمان قلبه للإيمان ، فبدا رجلاً غيره ، يعلن عن إسلامه في غير رقبة ولا حذر

يا عجبا أأي سر خفي انصب في قلب الرجل فأصبح لا يفرع من شر قرينيه جميعاً ، وهو كان يفرق من أن تراه عين وهو يدلف إلى مجلس رسول الله ( ص ) ؟ لا ريب فهذا هو الإيمان الحق حين يتغلغل في النفس ، فينتزع الإنسان من معانيه الأرضية ليكون في معانيه السماوية فحسب

ورضى رسول الله ( ص ) عن خباب فكان يحبوه بمطقه ، ويخصه بمنائيه ، ويألفه ويأتميه . وتناهى الخبر إلى سيده ( أم أعمار ) فخارت عينا أن تقف بينه وبين سيده . ولما أعجزها أن تنال بقيتها راحت تذيبه العذاب البئيس في غير شفقة ولا رحمة . ثم ... ثم انقلت إلى رسول الله ( ص ) بكشف له عن أثر ميسم أم أعمار في رأسه ، وعيناه تتحلجان من فرط الأسى ، فدعا له النبي : اللهم انصر خباباً . فما تلبث غير قليل حتى أخذت أم أعمار العلة ، فهي تموى عواء الكلاب ، وخباب يكرى رأسها بميسم يتوهج ، علها تبرأ من علتها أو تذوق وبال أمرها

وكبر على قرين أن يقوم رجل منهم يثلب آلهتهم ويسفه أحلامهم ويميب دينهم ، فشرى الأمر بينهم وبين النبي الكريم ، فذامروا يتواثبون على المسلمين يمدونهم فتوناً من العذاب ، وإن الشيطان ليوسوس لهم يريد أن يدهمهم إلى غاية ، وهم يرتدغون في الضلالة ، ويتخبطون في الظلمات ، وقد طم المعى على قلوبهم ، وبين أيديهم جماعة من ضعفاء المسلمين : خباب وصهيب وبلال وعمار وسمية و ... بلبسونهم أذراع الحديد ، ثم يلقون بهم بين لفحات الحر ووقدات القهظ ، وهم صبر على حر الحديد وأوار الشمس ، وخباب من بينهم تسخر شجاعته من غيظ الكافرين . يا لله ! إن في الإنسان نوازع إذا سيطرت عليه استحالة إلى حيوان لا يجد في نفسه معنى من معاني الإنسانية ، وهكذا كانت قرين حين أخذتهم ثورة الغضب والغليظ ، ورائت عليهم سورة السلطان والجاه ، فذهبوا يفتنون في أذى المستضعفين من المسلمين ...

## خَبَابُ ابْنِ الْأَرْتِ

### رَأْسًا فَكُلَّ مَحْمُودٍ وَصَيْبٍ

و رحم الله خباباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طامعاً ، وعاش مجاهداً ، واجتلى في جسده أحوالا ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ( على بن أبي طالب )



هذا هو ( خباب ابن الأرت ) فتي لم يبلغ الثلاثين من سنى حياته ، أيده جلد ، وثيق للأركان متكفل المضل يمدو ويروح على حاجات مولاه ( أم أعمار ) وحديث قرين ما ينفك يصنك سميته ، وهو عنه

في شغل ... ودوى الحديث في أرجاء مكة يززل القلوب والأقدام وعلى كل لسان كلمة واحدة : محمد ... محمد ! وإن زعماء قرين وذوى الجاه فيها ليضطربون بوجسوم خيفة مما جاء به محمد

وجلس خباب إلى نفسه بقلب الرأى ، وقد فرغ من حاجات سيده : محمد ! أي بأش على الرجل ، وهو الصادق الأمين ؟ والله ما علمنا عليه من سوء منذ كان . أفيفترون عليه الكذب بمد أن بدا الشيب في صدغيه ؟ ثم ما هذه الأمتام التي أرامم يمددون ؟ أخفقا أن فيها آلهة ؟ ليت شمري أى الحزبين أهدى سبيلاً وأقرب رشداً ؟

ثم ... ثم غدا على مجلس رسول الله ( ص ) يريد أن يستطلع خبر الدين الجديد ؛ وإن رجله لنختاجان من الرعب ، وإن قلبه ليتفزع من الذعر ، خشية أن تراه أعين شياطين قرين

أى شيء جنى خباب فيلصقوا ظهره بالرشف في قموة وغلظة  
ثم ما يزالون به حتى يذهب لحم سنته ؟  
أى ذنب ارتكب خباب ليأخذوه إلى نار تتسمر يسلقونه  
فيها ، ثم ما يبرح الواحد منهم يضع رجله على صدره ، فما يبقى  
الأرض إلا بظهره ؟

واستشمر خباب المذاب يأكل لحمه ويفرى جلده ، وما له  
منزع سوى رسول الله (ص) فانطلق إليه يستنصره على ما يلقى  
من قضاظة قريش وجفوتهم ... فقال له رسول الله (ص) وإن  
أثر الغضب ليبدو في وجهه : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل  
فيحفر له في الأرض ، ثم يجاء باليشار فيجمل فوق رأسه ما يصرفه  
عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب  
ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب  
من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والثوب  
على عنقه ، ولكنكم تمجلون » . فخرج خباب ورفاقه من لدن  
الرسول يستمدون الأذى في سبيل الله

وفزع المسلمون بدينهم إلى الحبشة ، وخباب بإزائهم بوءهم  
إلى مهاجرهم ، وعيناه تفيضان من الدمع حزناً على فراق أحبائه  
نفسه في المزاء ورفقاء قلبه في الشدة ، ثم هو ما يريد أن يتحول  
من مشرق النور من وجه النبي الكريم ، على حين يرى فيه  
الملوة واللذاء ؛ وقريش تشعط في عذابه ، فالتال منه أرباباً ،  
ولا تبلغ منه غمرساً وفي قلبه الإيمان ...

وهاجر - فيمن هاجر - إلى المدينة ليعيش إلى جانب سيده  
يشهد المشاهد كلها لا يستشمر الوهن ولا يتسرب إلى نفسه الخور ،  
ثم هو بين صحابة الرسول (ص) في المنزلة والشرف ...

ولحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى ، فهطلت عبرات خباب  
مدراً حين أحس لنزع الفراق في قرارة نفسه ، غير أن الأسمى  
ما كان ليبتدر فيه غمراس الوهن في دينه أو للضمف في إيمانه ،  
فانطلق إلى غاية يبذل النفس والمال في سبيل الله ، وصحابة  
رسول الله (ص) يمرقون له حقه ويكرمون وفادته . وإن عمر  
ابن الخطاب في خلافته ليراه يدخل عليه فيقول له : ادن ، فما أحد  
أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر . فيأخذ خباب يديه  
آثاراً في ظهره مما عذبه المشركون ...

لقد كشف عن ظهره لينشر آلام جسمه على عيني عمر ،  
أوليكشف عن سمات جهاده في دين الله ، فإذا هو قد برّص من  
كثرة ما ناله من أذى ...

وانشقت العصا ومرج الأصر وراح كل حزب بما لديهم  
يفاخرون ، وخباب بالكوفة بين صحابة على محبسه الملة ، ويقمه  
السقام ؛ فلا يجد القوة على نصرة على بنفسه ... وألح عليه المرض  
يدفنه إلى غاية كل حي وفي نفسه أن يتمنى الموت ، من طول  
معاركة المرض ، لولا أنه سمع رسول الله (ص) يقول : لا ينبغي  
لأحد أن يتمنى الموت ...

وعاد خباباً نفر من أصحاب رسول الله (ص) وهو في علته  
التي مات فيها فقالوا له : أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تقدم عليهم  
غداً . فتدفقت العبرات من عينيه وهو يقول : أما إنه ليس بي  
جزع ، ولكن ذكرتموني أقواماً وميتموم لي إخواناً ، وإن  
أولئك مضوا بأجورهم كما هي ، وإني أخاف أن يكون ثواب  
ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا من يدمهم . هذا هو كفى  
قباطي ، ولكن حزة هم النبي (ص) كفن في بودة كانت إذا  
مدت على قدميه قلعت عن رأسه ، وإذا مدت على رأسه قلعت  
عن قدميه حتى جعل عليه إذخراً<sup>(١)</sup> . ولقد رأيتني مع  
رسول الله (ص) ما أملك ديتاراً ولا درهماً ، وإن في ناحية بيتي  
الآن ، في تابوتي ، ألف وافر . ولقد خشيت أن تكون قد  
مجلت لنا طياتنا في حياتنا الدنيا

لا ضير ، فهذا حديث خباب بن الأرت سادس ستة أسلموا  
أول ما بزغ النور الإلهي من جبين المصطفى (ص) هو حديث  
الإيمان المحض الذي ما يزال يتوثب في القلب فيشغله عن آلام  
نفسه ليندره بين الطمع والخوف

ودفن خباب - أول من دفن - بالظهر من الكوفة  
وسراً على - حين رجوع من صفين - بقبر خباب ، يشيع  
الراحل بكلمات : رحم الله خباباً أسلم راغباً ، وهاجر طائماً ،  
وعاش مجاهداً ، وابتلى في جسمه أحوالاً ، وإن الله لا يضيع  
أجر من أحسن عملاً .

فرحم الله خباباً .  
فاصل محمود صبيب

(١) هو حبش أخضر طيب الرائحة .